المحاضرة الرابعة: إثبات الصانع بالدليل الفطري

بعد أن عرفنا إن الفطرة الإنسانية أودع فيها خالقها المبادئ الأولية وهي معرفة التوحيد حيث اقرهم في عالم الذر على ذلك، فقد أكد الله سبحانه وتعالى على هذه المعرفة بعدة طرق واضحة دل عليها القرآن وحجج الرحمن تأييدا للفطرة بشواهد كثيرة وحقائق ملموسة يسميها بعض العلماء دليل ارشادي ، أو منبهات تذكيرية سنتابعها في القرآن والسنة المطهرة:

المطلب الأول: دليل الفطرة

الدليل الفطري دليل لبي (عقلي) مركوز في العقل الفطري للإنسان ، ربما يغيب بكثرة العلائق وتلوثات البيئة والتربية كما قال الامام الصادق ع (كل مولود يولد على الفطرة إنما أبواه هما اللذان يمجسانه ويهودانه وينصرانه)، فاذا ذهبت العلائق وتقطعت الأسباب تظهر الفطرة ناصعة ، كذلك إذا لم يتلوث الانسان بالتربية الخاطئة والتأثرات المجتمعية ستصفو الفطرة، و لذلك فان الله سبحانه وتعالى له الحجة البالغة عَرّف نفسه لنا (١-بالفطرة،٢- وبالوجدان ٣- وبالحس والعيان) واليك الأدلة تباعا:

١ - القرآن الكريم ينبه الى دليل الفطرة:

قال تعالى (فَإِذا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذا هُمْ يُشْرِكُون) العنكبوت : ٦٥

وقال تعالى (هُوَ الَّذي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِريحٍ طَيِّبَةٍ وَ فَرِحُوا بِها جاءَتْها ريحٌ عاصِفٌ وَ جاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنا مِنْ هذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرين* فَلَمَّا أَنْجاهُمْ إِذا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّما بَغْيُكُمْ عَلى أَنْفُسِكُمْ مَتاعَ الْحَياةِ الدُّنْيا ثُمَّ إِلَيْنا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُون) يونس : ٢٢- ٢٣

الفلك يعني السفينة فعندما تكون الريح طيبة يفرحون بها وتكون سفرة سياحية ولكن إذا اضطربت السفينة بسبب الريح العاصف والموج الهائج وأوشكوا على الهلاك وتقطعت بهم الاسباب ويأسوا من النجاة ، دعوا الله مخلصين له الدين أي عبادته الخالصة من دون شرك أو شبهة ، ومعنى دعوا أي طلب النجاة من الله وحده.

وقد تكرر هذا المعنى في القرآن وهو مثل لمن تتقطع بهم الأسباب فلا يختص براكب السفينة ، بل يشمل كل إنسان يمر بلحظة عصيبة تتقطع به الأسباب كالمرض والاصابة والالم بفطرته السليمة يقول(آه) وهو صوت يطلقه الانسان عند الألم وبكل لغات العالم يصدر لا شعوريا ينادي بنداء الاستغاثة (آه) وهو مختصر للفظ الجلالة (الله) لو حذفت الالف لكانت (لله) ولو حذفت اللام لكانت (له) ولو حذفت اللام الأخرى لكانت (هُ) وهو ضمير يشير الى غائب ولو اشبعت الضمة لأصبحت (هو)، ولو حذف لامين لبقيت (آه)، ولم أجد أسما بهذه الخصائص ولذا لفظ الجلالة أسم خاص به لا يجوز ان يتسمى به احد من خلقه. قَالَ حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى الْخُزَاعِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع عَلَى بَعْضِ مَوَالِيهِ يَعُودُهُ فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ آهِ فَقُلْتُ لَهُ يَا أَخِي اذْكُرْ رَبَّكَ وَ اسْتَغِثْ بِهِ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع إِنَّ آهِ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَ[1] فَمَنْ قَالَ آهِ فَقَدِ اسْتَغَاثَ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى[2].

---

[1] . آه يقال وجعا أو أسفا أو حسرة أو ندامة على عمل أو ترحّما على أحد أو حزنا على حادثة، و قد اشتق منه الفعل و الوصف، منه قوله تعالى:(إِنَّ إِبْراهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) و أما كونه اسما له تعالى فإما هو من غير المشهور من أسمائه كرمضان الذي ورد في الحديث أنه من أسمائه و كآمين كذلك، و إمّا هو اسم له تعالى بالعبرانية أو السريانية نظير« ياه» المذكور في الزبور الموجود اليوم، و« يهواه» المذكور فيه أيضا، و« آهيا شراهيا» المذكور في دعاء الحرز للباقر عليه السّلام في كتاب الدعاء من البحار، و إمّا لا ذاك و لا ذاك، بل المؤمن اذ يقوله متوجها إليه تعالى سائلا منه فهو بمنزلة اسم من أسمائه، و قيل: فيه أربع عشرة لغة.

[2] التوحيد (للصدوق)، ص: ٢١٩

٢- السنـــة الشريفـة: لم أجد بيانات لهذه الآيات من الائمة في تراثنا الروائي، مما يدل أنها من المحكمات التي تعرفها العرب بألسنتها وهي على العبارة واضحة، ولكني وجدت قصة رائعة في تفسير الامام العسكري عليه السلام وقد نقلها جل المحدثين في مصادرهم وهي تشر بوضوح الى هذه الآيات.

قَالَ الْإِمَامُ العسكري ع وَ هُوَ مَا قَالَ رَجُلٌ لِلصَّادِقِ ع:يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى اللَّهِ مَا هُوَ فَقَدْ أَكْثَرَ الْمُجَادِلُونَ عَلَيَّ وَ حَيَّرُونِي؟ فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَلْ رَكِبْتَ سَفِينَةً قَطُّ؟قَالَ:بَلَى فَقَالَ: هَلْ كُسِرَتْ بِكَ حَيْثُ لَا سَفِينَةَ تُنْجِيكَ وَلَا سِبَاحَةَ تُغْنِيكَ؟قَالَ: بَلَى قَالَ: فَهَلْ تَعَلَّقَ قَلْبُكَ هُنَالِكَ أَنَّ شَيْئاً مِنَ الْأَشْيَاءِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ وَرْطَتِكَ؟قَالَ: بَلَى قَالَ الصَّادِقُ ع:فَذَلِكَ الشَّيْءُ هُوَ اللَّهُ الْقَادِرُ عَلَى الْإِنْجَاءِ حِينَ لَا مُنْجِيَ، وَ عَلَى الْإِغَاثَةِ حِينَ لَا مُغِيثَ[٣] إذ أرجعهُ الى الفطرة السليمة.

وهذا من أروع الأمثلة الكاشفة عن نداء الفطرة الذي يتساوى فيه الكافر والجاحد فضلا عن المؤمن بالله الواحد عندما تتقطع عنه الأسباب الظاهرية والمتعلقات الدنيوية عندما ييأس من الطبيب أو تنقلب به السفينة أو السيارة أو الطائرة أو يبقى وحيدا في صحراء قفرة يتجه قلبه نحو خالقه ومنقذه وهذا هو الله جل شأنه ويحدث هذا لكل إنسان ولو في العمر مرة عند (الالتجاء والاضطرار وانقطاع الاسباب) وهي مستوحاة من القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الدليل الوجداني

"الوِجْدَانُ" من القوى الباطنة،وكل ما يُدرك بالقوة الباطنة يسمى الوِجْدَانِيَّاتِ.وهو الشعور المغروز في خلجات النفس النابع من الفطرة، والوجدان ما يجده الانسان في نفسه من دون حاجة لتعلمه. وهو الشعور الباطني وهو أحد مصادر العلم ومعرفة الحقائق الذي عبر عنه بالقلب فعندما يسئل عن حقائق الامور يجيب بالحقيقة ، لكن المكابرة والغفلة والكثرة في الباطل تؤثر على النتائج ، ولكن اذا وجهت السؤال الى وجدانهم وضمائرهم سيقولون الحقيقة . وهو يعتمد على المحسوسات في الخارج ، كمقدمة أولى ، والاجابة من القلب كنتيجة بديهية وهو الحكم فالوجدان حاكم بما غرز فيه من مبادئ الامور (كقانون العلة والمعلول ، والحركة والسكون ، العدم والحدوث) فالعقل يميز بينهما ويحكم ان هذه علة وهذا معلول .

فلما تسأل العقل من خلق السموات والارض ؟ من انزل المطر؟ من أحيى و أمات ؟ من خلق الانسان والحيوان والشجر والمدر؟ليقولن الله تعالى

العنكبوت : ٦١ وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُون

العنكبوت : ٦٣ وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُون

لقمان : ٢٥ وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُون

الزمر : ٣٨ وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَ فَرَأَيْتُمْ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كاشِفاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُون

الزخرف : ٩ وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيم

الزخرف : ٨٧ وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُون

---

[٣] التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص: ٢٢عنه البحار: ٩٢- ٢٤٠ ح ٤٨، و عنه الوسائل: ٤- ١١٩٣ صدر ح ٢، و البحار: ٣- ٤١ ح ١٦ و عن التوحيد: ٢٣٠ صدر ح ٥(بإسناده عن محمد بن القاسم، عن يوسف بن محمد، و علي بن محمد بن يسار، عن أبويهما، عن الحسن بن علي عليهما السلام).
و رواه أيضا في معاني الأخبار: ٤ ح ٢. و أخرجه في البحار: ٤- ١٨٢ ح ٧ و البرهان:
١- ٤٤ صدر ح ٨ عن التوحيد و المعاني.

المطلب الثالث : الدليل الحسي (دليل الاثار)

وهو الذي يدرك بالحواس الخمس (الباصرة والسامعة والشامة والذائقة واللامسة) هذه الحواس هي من أبرز مصادر المعرفة لدى الانسان لنقل المعلومات المرئية والمسموعة والمشمومة والمذوقة والملموسة ،فالمقدمة الأولى حسية ، لينقلها الى العقل فيحللها ويعطي نتائجها ويحكم بها ، وقد أكثر القرآن منها بشكل كثير و واضح مفادها (الأثر يدل على المؤثر) وهو على أنواع من البراهين (برهان النظم ، برهان الحدوث ، برهان الحركة والسكون ، برهان العلة والمعلول) كل هذه البراهين تعتمد على مقدمتين فقط ، الأولى حسية ، والثانية عقلية بديهية .

أولا: برهان النظم في الكتاب والسنة

وهو من أيسر البراهين و اجلاها وهو لجميع العقلاء على اختلاف مستوياتهم لانه يستند الى الحس كمقدمة أولى والى العقل الفطري كمقدمة ثانية ليخلص الى نتيجة (وَ قِيلَ لِبَعْضِ الْأَعْرَابِ مَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ لِلْعَالَمِ صَانِعاً فَقَالَ وَيْحَكَ إِنَّ الْبَعْرَةَ تَدُلُّ عَلَى الْبَعِيرِ وَ آثَارَ الْقَدَمِ تَدُلُّ عَلَى الْمَسِيرِ فَهَيْكَلٌ عُلْوِيٌّ بِهَذِهِ اللَّطَافَةِ وَ مَرْكَزٌ سُفْلِيٌّ بِهَذِهِ الْكَثَافَةِ أَ مَا يَدُلَّانِ عَلَى الصَّانِعِ الْخَبِيرِ)[٤]

آ- القرآن الكريم : أَ فَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧)وَ إِلَى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨)وَ إِلَى الْجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩)وَ إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)فَذَكِّرْ إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) سورة الغاشية

بحار الانوار : باب ٣ إثبات الصانع و الاستدلال بعجائب صنعه على وجوده و علمه و قدرته و سائر صفاته جمع آيات الاثار طلها[٥].

الآيات البقرة قال تعالى إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ بَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ تَصْرِيفِ الرِّياحِ وَ السَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

يونس إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ ما خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ

ب- من السنة الشريفة:

١- نهج البلاغة: منها في صفة [عجيب] خلق أصناف من الحيوان:

وَ لَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ وَ جَسِيمِ النِّعْمَةِ لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ وَ خَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ وَ لَكِنِ الْقُلُوبُ عَلِيلَةٌ وَ الْبَصَائِرُ مَدْخُولَةٌ أَ لَا يَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِ مَا خَلَقَ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ وَ أَتْقَنَ تَرْكِيبَهُ وَ فَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَسَوَّى لَهُ الْعَظْمَ وَ الْبَشَرَ انْظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا وَ لَطَافَةِ هَيْئَتِهَا لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ الْبَصَرِ وَ لَا بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكَرِ كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا وَ صُبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا وَ تُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا وَفِي وِرْدِهَا لِصَدَرِهَا مَكْفُولٌ بِرِزْقِهَا مَرْزُوقَةٌ بِوَفْقِهَا لَا يُغْفِلُهَا الْمَنَّانُ وَ لَا يَحْرِمُهَا الدَّيَّانُ وَ لَوْ فِي الصَّفَا الْيَابِسِ وَ الْحَجَرِ الْجَامِسِ وَ لَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا- [وَ] فِي عُلْوِهَا وَ سُفْلِهَا وَ مَا فِي الْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ بَطْنِهَا وَ مَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَ أُذُنِهَا لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَباً وَ لَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَباً فَتَعَالَى الَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا وَ بَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ وَ لَمْ يُعِنْهُ عَلَى خَلْقِهَا قَادِرٌ وَ لَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ لِدَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ وَ غَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ وَ مَا الْجَلِيلُ وَ اللَّطِيفُ وَ الثَّقِيلُ وَ الْخَفِيفُ وَالْقَوِيُّ وَ الضَّعِيفُ فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءٌ.

[٤] روضة الواعظين و بصيرة المتعظين (ط - القديمة)، ج١، ص: ٣٢

[٥] بحار الأنوار (ط - بيروت)، ج٣، ص: ١٨

خلقة السماء والكون وَكَذَلِكَ السَّمَاءُ وَالْهَوَاءُ وَالرِّيَاحُ وَالْمَاءُ فَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ وَالْمَاءِ وَالْحَجَرِ وَاخْتِلَافِ هَذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَ تَفَجُّرِ هَذِهِ الْبِحَارِ وَ كَثْرَةِ هَذِهِ الْجِبَالِ وَ طُولِ هَذِهِ الْقِلَالِ وَ تَفَرُّقِ هَذِهِ اللُّغَاتِ وَ الْأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدِّرَ وَ جَحَدَ الْمُدَبِّرَ[٦]

٢- (توحيد المفضل بن عمر): وعلى هذا المنوال ذكر مولانا الإمام الصادق لتلميذه المفضل بن عمر آيات صنع الله تبارك وتعالى في أربعة جلسات أكد على عبادة رائعة مع بساطتها يقل من يعمل بها وهي عبادة التفكر حيث ورد (تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة)، وهذه المحاور هي كالآتي (خلق الإنسان، خلق الحيوان، خلق السموات وما فيها من النجوم ،والأرض وما فيها من المعادن والنبات ، خلق الموت والحياة) ، كل ذلك في كتاب التوحيد للمفضل بن عمر وهو يختص بإثبات التوحيد من خلال دليل الآثار ببرهان النظم وبرهان العلة والمعلول وبرهان الحركة والسكون.

فَكِّرْ يَا مُفَضَّلُ فِي وُصُولِ الْغِذَاءِ إِلَى الْبَدَنِ وَ مَا فِيهِ مِنَ التَّدْبِيرِ فَإِنَّ الطَّعَامَ يَصِيرُ إِلَى الْمَعِدَةِ فَتَطْبُخُهُ وَ تَبْعَثُ بِصَفْوِهِ إِلَى الْكَبِدِ فِي عُرُوقٍ دِقَاقٍ وَاشِجَةٍ[٧] بَيْنَهُمَا قَدْ جُعِلَتْ كَالْمُصَفِّي لِلْغِذَاءِ لِكَيْلَا يَصِلَ إِلَى الْكَبِدِ مِنْهُ شَيْءٌ فَيَنْكَاهَا[٨] وَ ذَلِكَ أَنَّ الْكَبِدَ رَقِيقَةٌ لَا تَحْتَمِلُ الْعُنْفَ ثُمَّ إِنَّ الْكَبِدَ تَقْبَلُهُ فَيَسْتَحِيلُ بِلُطْفِ التَّدْبِيرِ دَماً وَ يُنْفِذُهُ إِلَى الْبَدَنِ كُلِّهِ فِي مَجَارِي مُهَيَّأَةٍ لِذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْمَجَارِي الَّتِي تُهَيَّأُ لِلْمَاءِ لِيَطَّرِدَ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا وَ يَنْفُذَ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ مِنَ الْخَبَثِ وَالْفُضُولِ إِلَى مَفَايِضَ[٩] قَدْ أُعِدَّتْ لِذَلِكَ- فَمَا كَانَ مِنْهُ مِنْ جِنْسِ الْمِرَّةِالصَّفْرَاءِ جَرَى إِلَى الْمَرَارَةِوَ مَا كَانَ مِنْ جِنْسِ السَّوْدَاءِ جَرَى إِلَى الطِّحَالِ وَ مَا كَانَ مِنَ الْبِلَّةِ وَ الرُّطُوبَةِ جَرَى إِلَى الْمَثَانَةِ فَتَأَمَّلْ حِكْمَةَ التَّدْبِيرِ فِي تَرْكِيبِ الْبَدَنِ وَ وَضْعِ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ مِنْهُ مَوَاضِعَهَا وَ إِعْدَادِ هَذِهِ الْأَوْعِيَةِ فِيهِ لِتَحْمِلَ تِلْكَ الْفُضُولَ لِئَلَّا تَنْتَشِرَ فِي الْبَدَنِ فَتُسْقِمَهُ وَ تَنْهَكَهُ فَتَبَارَكَ مَنْ أَحْسَنَ التَّقْدِيرَ وَ أَحْكَمَ التَّدْبِيرَ وَ لَهُ الْحَمْدُ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ وَ مُسْتَحِقُّهُ.

الصوت و الكلام و تهيئة آلاته في الإنسان و عمل كل منها.

أَطِلِ الْفِكْرَ يَا مُفَضَّلُ فِي الصَّوْتِ وَ الْكَلَامِ وَ تَهْيِئَةِ آلَاتِهِ فِي الْإِنْسَانِ فَالْحَنْجَرَةُ كَالْأُنْبُوبَةِ لِخُرُوجِ الصَّوْتِ وَ اللِّسَانُ وَ الشَّفَتَانِ وَ الْأَسْنَانُ لِصِيَاغَةِ الْحُرُوفِ وَ النَّغْمِ أَ لَا تَرَى أَنَّ مَنْ سَقَطَتْ أَسْنَانُهُ لَمْ يُقِمِ السِّينَ وَ مَنْ سَقَطَتْ شَفَتُهُ لَمْ يُصَحِّحِ الْفَاءَ وَ مَنْ ثَقُلَ لِسَانُهُ لَمْ يُفْصِحِ الرَّاءَ وَ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِذَلِكَ الْمِزْمَارُ الْأَعْظَمُ فَالْحَنْجَرَةُ تُشْبِهُ قَصَبَةَ الْمِزْمَارِ وَ الرِّئَةُ تُشْبِهُ الزِّقَ الَّذِي يُنْفَخُ فِيهِ لِتَدْخُلَ الرِّيحُ وَ الْعَضَلَاتُ الَّتِي تَقْبِضُ عَلَى الرِّئَةِ لِيَخْرُجَ الصَّوْتُ كَالْأَصَابِعِ الَّتِي تَقْبِضُ عَلَى الزِّقِّ حَتَّى تَجْرِيَ الرِّيحُ فِي الْمَزَامِيرِ وَ الشَّفَتَانِ وَ الْأَسْنَانُ الَّتِي تَصُوغُ الصَّوْتَ حُرُوفاً وَ نَغْماً كَالْأَصَابِعِ الَّتِي تَخْتَلِفُ فِي فَمِ الْمِزْمَارِ فَتَصُوغُ صَفِيرَهُ أَلْحَاناً غَيْرَ أَنَّهُ وَ إِنْ كَانَ مَخْرَجُ الصَّوْتِ يُشْبِهُ الْمِزْمَارَ بِالْآلَةِ وَ التَّعْرِيفِ فَإِنَّ الْمِزْمَارَ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ الْمُشَبَّهُ بِمَخْرَجِ الصَّوْتِ.

دعاء الامام الحسين ع في عرفة مملوء من هذه البراهين.

---

[٦] نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: ٢٧١

[٧] الواشجة: مؤنث الواشج اسم فاعل بمعنى المشتبك، يقال:و شجت العروق و الاغصان إذا اشتبكت. و المراد بالواشجة هنا الموصلة او الواصلة.

[٨] نكأ القرحة قشرها قبل ان تبرأ فندبت.

[٩] المفايض: المجارى، مأخوذة من فاض الماء، و في بعض النسخ بالغين من غاض الماء غيضا، أي نضب و ذهب في الأرض.